

( خارج المدينة ) اذا خرجت الى ظاهر المدينة ترى الجنات الواسعة والرياض والحقول الكبيرة مزروعة كلها بنأ وموزاً وذرة بيضاء وشعيراً وقليلًا من البقول والكرمة وبعضاً من شجيرات الليمون والپاپاي (carica papaya) ويهتم الهريون كثيراً بزراعة الكات (catta edulis ou celastrus edulis) وهي شجرة تشبه الفار البرتغالي يعضغ العرب والهريون ورقها فتفعل بهم فعل المسكر او الاقيون وهذا النبات يباع باسعار غالية جداً ويرسل منه الى جيوتي وعدن وبعض سواحل شبه جزيرة العرب .  
 أما بقية الاشجار المثمرة والمزروعات الصناعية والتمتع وغير ذلك فلا يهتم الاهالي بها لا لان الارض والمناخ لا يصاحبان لذلك فان بستان الرسالة الكاثوليكية ممتلي من كل انواع الفواكه والبقول الادريئة بل لان الجهل مستول على الاهلين فلا يعملون الا ما كان يعمل آباؤهم واجدادهم في العصر السالفة غير ان الآمال منعقدة على التقدم بفضل دخول الشركات الادريئة التي اخذت بالاهتمام في مسائل الزراعة في بعض المقاطعات الحبشية ولا بد ان يتعلم منهم الهريون فينهضون قريباً من رقادهم وينفضون عنهم غبار الجهل ويتحققون ان الزراعة روح البلاد في كل آن ومكان

## يَمِينُ الْعَلِيَّ

رواية تاريخية للاب س . ت اليسوعي

### الفصل العاشر

مرم (تسعة الفصل)

— صلي يا ابنتي فان المسيح غداً يستولي على قلبك  
 — زودني ايها الاب ببركتك

— اني اباركك من صميم الفؤاد باسم الرب فادي الالام

هو الخطاب كان جارياً على عتبة بيت حثير موقعة في بعض احياء القعة في بيروت بين شيخ وقود وفناة في مقتبل العمر كانت تصحبها امرأة مسنة وكان الذي ينظر الى العجوز لا يشك في انها من صعاليك القوم وقرانهم او

بالحري من إيمانهم وعبيدهم . أمّا الفتاة فكان حسنُ منظرها ورشاقة قدّها ورزانتها في حركاتها تدلُّ على شريف أصلها وطيب أدومتها  
ولكن تُرى ما معنى وقار تلك الآنسة وتدلُّ لها امام شيخ وضيع الاصل وما  
سبب ذلك التعطُّب والخنو الذي اظهره لها الشيخ اذ باركها وتبّها بالنظر حتى توارت  
عن عيانه من جهة حيّ اليهود ؟

وكأنّي بالقارى قد سبق وعرف تلك الفتاة ودعاها باسمها يهوديت ابنة صموئيل  
اليهودي المثير الشهير في بيروت ولعلّه عرف ايضاً العجوز التي كانت تصحبها أنّها  
أمتها الامينة دوروتيا

وان سألت عن الشيخ الجليل الذي وقفت يهوديت بحضرته اجبتك انه كوارتوس  
أوّل اسقف تولّى في بيروت رعاية النصارى

\*

كان بطرس الصفا ثلاثين سنة قبل ذلك العهد تل من اورشليم وهو يطلب  
انطاكية ولما كانت طريقه على بيروت لم يشأ ان يجتاز هذه المدينة الشهيرة دون ان  
يزرع فيها بذر الخلاص ويبشّر اهلهما بالانجيل . فرمى فيها شبكته وهو صياد الرجال كما  
قال عنه المسيح فاجاب الى دعوته نفرٌ قليلون كانوا كالحميرة في تلك الحاضرة بين قوم  
لم يكن همهم سوى احرار الغنى وارثاف كاس اللذات

ولما حان وقت رحيل الرسول الى انطاكية اختار بين تلامذته رجلاً ذا فطنة  
وغيرة يدعى كوارتوس وكل اليه امر المتضررين وجعله اسقفاً أوّل على بيروت ليبت فيها  
الدين . فلقي كوارتوس امر هامة الوسل واختار لسكناه حانوتاً صغيراً باعهُ من بعض  
العملة واتخذهُ معملًا للحياكة وهي المهنة التي كان يزاولها . فما لبث القوم ان رأوا  
اجتهاده وحسن شغله فصاروا يتواردون اليه ويفضلون انسجته على غيره وكانوا يلقون  
من لطفه ورقة طباعه ما يأسرهم بحبه

وكان كوارتوس مع مثابرة على شغل الحياكة يقابل جميع الزائرين بوجه بشوش  
ويتحقّى بالسؤال عن احوالهم ويساعدهم بمشورته بل بعمله ان امكنه . وكان اذا وجد  
بينهم بانساً اقرب منه تحسّن عليه بماله . فكانت العامة تنتاب اليه ولاسيما اليهود الذين  
وجدوا فيه مثال الفضائل الموصوفة في اسفار موسى وكتب الانبياء على أنهم كانوا

يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَمَنْ اعْتَرَاهُ عَنْ قَوْمِهِمْ فِي الصَّلَاةِ. وَبَقِيَ كَوَارْتُوسُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ بَيْنَهُمْ رَدْحًا مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا فِي حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمَتَرَدِّينَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ وَكَانَ مِنْ بَاةِ السَّمَكِ وَهُوَ يَهُودِي النَّحْلَةِ :

أَرَأَيْكَ رَجُلًا ذَا دِينَ وَمَعَ هَذَا لَمْ نَعَايْنِكَ قَطَّ فِي كَنِيسِنَا  
قَالَ هَذَا فَارْدَفَ حَمَّالٌ فِينِيْقِيَّ كَانَ هُنَاكَ : « وَكَذَلِكَ نَحْنُ لَمْ نَرِكَ يَا كَوَارْتُوسُ فِي  
مَعَابِدِ آلِهَتِنَا السُّورِيِّينَ »

فَمَا أَقْبَى هَذَا السُّوَالُ حَتَّى أَصْفَى الْكُلَّ إِلَى الْحَانُكِ كَوَارْتُوسُ وَاعَادُوهُ لِبَنِيهِمْ لِيَرَوْا  
مَا هِيَ أَفْكَارُهُ مِنْ جِهَةِ الدِّينِ

أَمَّا كَوَارْتُوسُ الَّذِي كَانَ يُجِيبُ عَادَةً عَلَى اسْتِئْذَانِهِ زَانِيَةً دُونَ أَنْ يَكْفَ عَنْ الشَّغْلِ  
فَإِنَّهُ اسْكُتَ هَذِهِ الدَّفْعَةَ « مَكْرُوهٌ » وَرَفَعَ رِجْلَهُ عَنْ « دَوَّاسْتِهِ » وَقَامَ عَنْ سِدَاهُ  
فَجَلَسَ فِي بَهْرَةِ الْقَوْمِ وَكَانُوا قَدْ أَزْدَحَمُوا حَوْلَهُ لَعَلَّهُمْ يَسْمَعُونَ مِنْ فِيهِ شَيْئًا جَدِيدًا . ثُمَّ  
أَطْرَقَ سَاعَةً إِلَى الْأَرْضِ كَأَنَّهُ يُصَلِّي إِلَى اللَّهِ فِي قَلْبِهِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الرَّهْطِ الْمُتَجَمِّعِ  
حَوْلَهُ قَائِلًا :

« لَا تَتَعَجَّبُوا مِنْ حَيَاتِي عَنْ كَنِيسِ الْيَهُودِ وَعَنْ هَيْكَلِ الْأَصْنَامِ لِأَنَّ مَعْبُودِي  
هُوَ السَّيِّدُ الْإِلَهِ يَسُوعُ الْمَسِيحُ »

قَالَ كَوَارْتُوسُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ بِصَوْتِ جَهْوَرٍ وَبِرِزَانَةٍ عَجِيبَةٍ . لَكِنَّهُ مَا كَادَ يَنْتَهِي  
مِنْهَا حَتَّى قَامَ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ الْحَاضِرِينَ وَخَرَجُوا يَهْرُؤُنَ بَرُؤُسَهُمْ وَيَلْعَنُونَ  
مَعْبُودَ كَوَارْتُوسَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَشْرَبُوا بَغْضَهُ مِنْذُ حَدَاثَتِهِمْ  
أَمَّا الْبَاقُونَ فَانْتَهَمَ مَعَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْإِنْذِهَالِ لَمْ يُجِيرُوا جَوَابًا وَلَا طُبِعُوا عَلَيْهِ مِنْ  
السَّذَاجَةِ وَحَسَنِ الطَّوْفَةِ أَحْبَبُوا أَنْ يَعْرِفُوا مَا يَقُولُهُ كَوَارْتُوسُ فِي مَعْبُودِهِ

فَوَاصِلُ الْحَيَاةِ كَلَامُهُ بَعْدَ أَنْ تَوَارَى الْخَارِجُونَ عَنِ الْعِيَانِ وَاخْتَصَمَ عَلَى سَامِعِيهِ  
خَبَرَ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ مَبَاشَرَةً مِنْ مَوْلَدِهِ الْعَجِيبِ إِلَى مَوْتِهِ وَقِيَامَتِهِ . وَكَانَ عَلَى قَدَرِ مَا  
يُخَوِّضُ فِي مَجَالِ الْكَلَامِ يَزِيدُ صَوْتُهُ قُوَّةً وَيَنْسَمُ وَجْهُهُ بِسَمَةِ الْعَرَبِ وَالْوَقَارُ فَيُخَالِ لِلْحَاضِرِ  
أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ مَلَكَ لَا بَشَرًا . وَكَانَ قَوْلُهُ يَحْكُوكَ فِي صَدْرِهِمْ وَيَفْعَلُ فِيهِمْ فَسْلَ الْمَاءِ  
الرُّؤَالِ فِي النَّاهِلِ الْمُطْشَانِ يُرْوِي حَرَّتَهُ وَيُسْفِي حَرَقَتَهُ

وَكَانَ نَمَّا أَثَرُ فِيهِمْ مَا رَوَاهُ كَوَارْتُوسُ عَنْ مَسِيحِهِ أَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِثْلَهُمْ فِي

الضعة وشغل الايدي والآتاع الشاقة فنهج لهم بثله طريق الخلاص وطوب القراء  
والمساكين والحزاني والباكين دون الاغنياء . والمنهمكين في الذات . فخرجوا من امام  
كوارتوس وقلوبهم مأسورة بحب الـ جواد احب نفوسهم حباً لا يوصف ادنى به الى  
ان يموت فداء عنهم

وكانت هذه اول كرازة كوارتوس بالمسيح الرب فلم تذهب كلمته سدى بل  
وقعت في تربة طيبة واتت بعد قليل يزرع جيداً وزكا في قلوب اهل بيروت وخصوصاً  
في قلوب الـ وضعاء والمساكين

على ان الجحيم لم يكن ليرضى بخواب ملكه دون ان يقاوم انصار الحق ودعاة  
الدين فثارت على المتصرين في بيروت الثوار الجئة وناصبهم كهنة الاصنام وكان اشد  
الناس عداوة عليهم اليهود اذ يرونهم يعظمون ذاك الذي صلبه زعماءهم وكبار اجارهم  
ومن ثم كانوا يدسون لهم الدسائس ويحتركون عليهم الضغائن بل رفعوا امرهم الى  
عمال الرومانيين ليحاكموهم كاعداء الماكة ويقضوا عليهم بالموت او بالنفي . لكن  
الرومان بعد الفحص والتنقيد لم يجدوا لشكايات اليهود سنداً فتركوهم وشأنهم يعبدون  
معبودهم المصلوب كما يعبد الفينيقيون تموز وعشتاروت او كما يكرم اليونان المشتري  
والمريخ . اما تعليمهم الديني فلم يجدوه اسوأ من تعليم غيرهم بل رأوا أنهم يكرمون  
القيصر ويعطون ما لله لله

\*

فكذا مرت على كوارتوس ثلثون سنة وهو يجاهد في سبيل الحق متقلباً في  
السراء والضراء تارة تساعده الرياح فيجري بسفينته الى الامام وتارة يساور مركبة  
تيار البحر فيكاد يحطمه ألا ان الله امدّه بمعونته ودلّ له المصاعب حتى بلغ عدد  
قطيعه في اليوم الذي نحن بصدده ألفي نفس اكثرهم من السوق ومن العملة

وقد شاء الله ان يعزّي في هذا النهار قلب هذا الراعي الفيوربان ساق اليه احدى  
بنات اسرائيل ليرشدها الى طريق الخلاص فتكون كبا كورة قومها الذين لم يستطع  
كورتوس حتى ذاك اليوم ان يلين صلابة قلوبهم وينير عقولهم بنبراس الايمان

ومن ثم لما رأى الاسقف اول مرة يهوديت داخلة الى منزله الحثير مع أمتها  
دوروتيا رحب بهما واطهر للفتاة الشريفة من الانس والحسان ما افرخ روعها وسكن

جأشها . ثم اجلسها بقرية ولما تحققت برغبتها في التنصر اخذ يوضح لها حقيقة النصرانية وما ورد في اسفار العهد العتيق من النبوات عن المسيح وحياته وموته وبطلان سنة موسى بشريعته الفضلى

وكانت يهوديت تسمع كلام كوارتوس لا يفوتها منه حرف الا انها كانت سبقت ودرست من قبل دخولها عليه تاريخ النصرانية وراجعت الاناجيل المقدسة وقابلت بين نصوصها وآيات التوراة واحاطت بدين المسيح علماً . ولما سألتها كوارتوس اتؤمن بالعقائد التي فسرناها لها رأى من حكمتها وصواب عقلها وسعة فهمها ما لم يجد في من نصرهم قلباً

لكنه خاف من ان تضعف امام الشدائد وتخور عزيمتها اذا ما عرف ابنا جلدها بخروجها عن دين آباءها . وعليه اخذ الاسقف يبين لها ان المؤمن لا بد له من الصبر على المحن والبلايا وان ايمانه يضطره على مقاساة الآلام حتى اذا اقتضى الامر ذلك يهرق بطيب القلب دمه في سبيل دينه كما فعل اسطفانوس الشهيد ويعقوب اخو الرب ويعقوب بن زبدي وكلهم آثروا الموت على الكفر وذهبوا ضحايا بغض اخوتهم اليهود لدين المسيح

بيد ان يهوديت كانت مستعدة لكل الارجاع بل للموت نفسه اذا ما دعاها الله يوماً الى الاستشهاد فاكتفت بان تقول لكوارتوس عند وصفه الشدائد المعدة للمتصرين : « ان الحبة اقوى من الموت » تريد ان محبة الله قد استولت على قلبها فلا تخاف العذابات بل لا تهاب الموت نفسه لحفظ وديعة الايمان

فلما رأى كوارتوس شدة نفسها وقوة عزمها لم ير داعياً لتأجيل عمادها فبشرها بذلك وعين لها يوماً تعد نفسها لقبول هذه النعمة الالهية والمئة السوية وزودها ببركته كما رأينا فخرجت وأمتها وقلبها يطفح سروراً ( ستأتي البقية )

